مكتبتي ٣٧

هدية من دار المعارف
إدارة النشر
غير مخصص للبيع

شعاع من نور

بقلم : لينا كيلاني
رسوم : منال بدران

دار المعارف

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

رقم الإيداع	٢٠٠٢/٨٣٨٠
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-6308-7

٧/٢٠٠١/١٣٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة: ج م ع

إعداد الماكيت : أماني والى

«حامد» ولدٌ نشيطٌ ذكى يحبُّ أسرته ويحبُّ الطبيعةَ أيضاً.. . وبينما هو ذات يوم فى صباحٍ باكرٍ يتجوَّل فى الحديقة الصغيرةِ أمامَ منزله رأى حمامة بيضاءَ تقتربُ منْ بركةِ الماء.. أخذ يتأملها وهى تبلل رأسها وجناحيْها بالماء، ثم تنفضهما عدةَ مرَّات، وما تلبثُ أنْ تنزلقَ فى الماء وتعودَ فتخرج منه. قال لها:

- ماذا تفعلين أيتها الحمامة؟ ألا تخافينَ أنْ تغرقى؟

قالتْ له:

- لا.. أيها الولدُ الطيبُ.. أنا لا أعرّضُ نفسى للخطرِ بلْ أنا أتوضأ.

قالَ بدهْشَة :

- وهلْ أنتمْ تتوضؤون وتصلُّون أيها الحمام؟

قالتْ :

- نعم.. كلُّ المخلوقات تصلى وتسبِّح.. وكلٌ منا عرفَ صلاته وتسبيحَه.. ألا تعرفُ الآية الكريمة فى القرآن الكريم:

﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ (سورة النور: ٤١)

أطرق «حامدٌ» مفكرًا، وقَال:

- وأنا أيضا أتوضَّأ.. وأذهبُ معَ والدِى إلى المسْجدِ يومَ الجمعَة لأصلّى.

قَالتِ الحمامَةُ :

- هيَّا توضأ أمامِى لأرى...

خلَع «حامد» حذَاءه، وشمرَّ عنْ ساقيْه، واقترب مِنْ بركةِ الماء، ثم تعوَّذَ بالله منَ الشيْطَان، وقَال «بسْمِ اللهِ الرحْمَنِ الرحِيم»، وبدَأ الوُضوُء.

غسلَ يديْه تمامًا، ثم غرفَ بيدِه اليمْنى غرفةً ونظَّفَ بهَا فمَه، فقالت الحمامة: كأنكَ يا حامد تطهرُ فمكَ منْ كلامٍ سيءٍ قلته وربما ستقوله.

غرفَ غرفةً أخْرى ونظَّف أنفَه، فقالت الحمامة: ها قد أصبح أنفك نظيفًا.

ثم غرفَ بيديْه الإثنتيْن غرفةً كبيرةً وغسلَ وجْهه. فقالت الحمامة: ها قد أصبح وجهك مضيئًا.

وهكَذا.. غسَل «حامد» يديْه إلى الكُوعيْن.. ومسحَ على رأسِه.. ونظَّف أذنيْه ثُمَّ انحنى ليغْسل قدميْه.

قالت الحمامةُ:

- ها قدْ أصبحت أعضاء جسْمك التي هي قوامُ حياتك كلها طاهرة.. ألاَ تأكلُ بفمِك.. وتشمُّ بأنفك.. وتسمعُ بأذنيْك.. وتعملُ بيديْك.. وتسعَى برجليْك.. أظنُّ أنَّ هَذَا هو المطلوب.. كما علمنى ربى.

قال «حامد»:

- يبدُو هذا صحيحاً أيتهَا الحمَامة.. فأنا كنتُ أفعلُ ذَلك.. لكننى لمْ أدركْ الحكمةَ السماويةَ منهَا.. شكرًا لك.. وأنا سأعيدُ ما قلتِه لى لإخْوتى وأصدقائى.. بلْ سأعيدُه علَى أمِّى وأبى.

ضحِكت الحمامةُ وهى تفردُ جناحيْها لتطير، وقالت:

- لابدَّ أنَّ الكبارَ يعرفُون ذَلك.. بلْ وأكثرَ منْ ذَلك.. وربما سمعْته أنتَ منْهم.. ولكنْ حسنٌ أنَّك الآن فهمْت الغايةَ منَ الوضُوء.. إنهَا ليْست نظافة الجسْم فقطٍ بلِ النفْس أيضًا.

وبينما الحمامةُ تطيرُ إلى شجَرةٍ كبيرةٍ حيثُ حمائم أخْرى نادَاها «حامد» قائلاً:

- وهلْ أنتِ مسْلمة ؟

وسمعَ صوتاً منَ الحمائم يهتفُ :

- كلُّنا مسلمون.. ونحمدُ الله ونشكُره.

عَاد «حامد» إلى البيْت وهو يفكِّر فيمَا قالتْهُ له الحمَامة، وتذكَّرَ كيفَ أنَّ أخاه الأصغَر «شاكر» كانَ يسألُ والدهمَا عنِ الوضُوء. بحث عنه فى أرجاءِ المنزلِ فلمْ يجدْه، ولما سأَل أمه أجَابته أنه ذهبَ معَ رفاقِه إلى حمَّام السبَاحَة، أليسَ فى إجَازة منتصفِ العام الدرَاسى ومنْ حقه أنْ يستمتعَ بهَا ؟!

توجَّه «حامد» إلى مكتبته وأخذَ يُخرجُ منهَا كتبًا يفتحهَا ويقلبُ صفحاتهَا، ثم يضعهَا جانبًا ويخرجُ غيرهَا، وهكذا.. حتَّى امتلأَت غرفتُه بالكُتب. وفجأةً دخلَت أمُّه، قالتْ له:

- ماذا تفعلُ يا حَامد. . . وما هذِه الفوضَى مِنْ حولك؟

أجابهَا :

- أنا آسفٌ يا أمى سأُعِيدُ ترتيبهَا كما كانتْ بعدَ أنْ أعثر علَى كتابِ الوضُوء والصلَاة.

قالت:

- ولماذا تبحثُ عنه ألا تعرِفُ كيفيةَ الوضُوء والصلاة؟

أجابها :

- بلىَ يا أمى.. ولكنى تعلمْتُ اليومَ شيئاً جديداً عنِ الوضُوءِ وأريدُ أنْ أعرفَ وأفهمَ أكثر.

ابتسمَتِ الأم وربتَتْ علَى كتفِ «حامد»، وقالتْ له:

- أنتَ ولدٌ عاقلٌ يا «حامد». . اسأل وابْحَثْ حتَّى تتعلمَ أكثر.

وخرجتِ الأم من الغرفةَ بينمَا عثرَ «حامد» على كتابٍ أزرقَ صغير. نَسِىَ الكتبَ ملقاةً فوقَ مكتبهِ وجلسَ فى زاويةِ الغرفةِ يقرأ.

ولماَّ عادَ «شاكر» إلى المنزلِ كَانَ «حامد» قد انتهى منْ قراءةِ كتابه، ناداه منْ بعيد:

- تعالَ يا شاكر ألا تريدُ أنْ أعلمكَ كيفَ يكونُ الوضُوء؟

دخلَ «شاكر» مسرعاً وهُو يقُول:

- أحقاًّ ما تقولُ يا «حامد»؟

أجاب «حامد» مبتسِما:

- أجَل يا شاكر.. أصبحْتُ الآن أعرفُ كلَّ شىءٍ عنِ الوضُوء.

وفجأةً ارتفعَ صوتُ المؤذنِ بالآذان، قال «شاكر»:

- وهلْ سنذهبُ معًا إلى المسْجد إذَا ما علَّمتنى كيفَ أتوضَّأ ؟

أمسكَ «حامد» بيدِ «شاكر» وهو يقُول:

- تعالَ أولاً أعلمكَ الوضُوء؟

تراجَعَ «شاكر» وقال:

- ولماذَا الوضُوء؟.. جسْمى نظيفٌ.. ألمْ استحمَّ بعدَ أن خرجتُ منْ حمَّامِ السباحَةِ ؟

ثُمَّ هزَّ رأسَه فتطايرَ الماءُ منه، قَال:

- انظرْ ها هو شعْرِى لمْ يجف بعد..

ضَحِكَ «حامد» وتعجَّبَ منْ براءةِ أخيه الصَّغير، وقَال:

- الاستحمامُ شىءٌ والوضُوءُ شىءٌ آخَر.

قَال «شاكر»:

- لماذا.. أليسَ الوضوءُ منْ أجل أنْ يكونَ المسلمُ نظيفاً؟

أجابَ «حامد» بصوتٍ خافتٍ ربمَا لمْ يسمعْه «شاكر»:

- بل من أجلِ أنْ يتهيأ قلبهُ للصَّلاة إضافةً للنظافةِ.

مشَى «حامد» نحوَ صنبورِ الماء وأخذَ يتوضَّأ، ووقفَ «شاكر» يراقبُه باهتمامٍ، ومَا أن انتهى حتَّى سَأله «شاكر»:

- طالمَا أنك غسلْت بعضَ أجزاءٍ منْ جسْمك فقط فلابُدَّ أنَّ الوضوءَ أمرٌ مختلفٌ عنِ الاستحمَام.. أليسَ كذلكَ يا أخى؟

أجابَه:

- أحسنتَ يا شاكر، هاقد فهمتَ وحدَك.. فأنا إذ أغسلُ يدىَّ أولاً بعدَ أنْ أنوِىَ الوضوءَ وأكررَ مراتٍ ثلاثَ كلَّ ما أقومُ به بعدَ ذَلك، إنمَا أتهيَّأُ للصَّلاةِ التى لا تصحُّ دونَ الوضُوء.

وأخذَ «حامد» يغسلُ يديْه منْ جديدٍ وهو يقُول:

بسْمِ اللَّهِ الرحْمَنِ الرحِيم.. نويتُ الوضوءَ.

ثمَّ غسلَ فمَه ثلاثَ مراتٍ.

واستنشقَ الماءَ براحَتِه ثلاثَ مرَّاتٍ وقَالَ:

- اللهمَّ اجعلْنِى أشمُّ رائحةَ الجنةِ.

وغسلَ وجهَه ثلاثَ مرات، وقال:

- اللهم بيّضْ وجْهِى يوم تبيضُّ الوجُوه.

وغسلَ يدَه اليمنى حتَّى المِرْفَقَ، وقال:

- اللَّهُمَّ اعطِنى كتابِى بيمينى.

وغسل يدَه اليسْرى حتَّى المرفق، وقَال:

- ولا تعْطِنى إيَّاه بشمالى.

مسحَ براحَتَه علَى رأسِه، ثم مررَ أصابعَه خلْفَ أذنيْه.

ومررهَا حولَ رقَبته.

وغسلَ قدمَه اليسْرى، وقال:

- اللهم ثبّت قدَمى اليمينَ علَى الصِّراطِ المسْتقيم يا عزيز يا رحِيم.

وَغسلَ قدمَه اليسْرى، وقال:

- اللَّهم ثبتْ قدَمى الشمالِ على صراطِ الرحمنِ ياعزيزُ يا جبارُ يا خالقَ الليلِ والنهَار.

ثم غسلَ يديْه وقال.

«أشهد أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله».

وماَ أنِ التفتَ «حامد» نحوَ أخيه حتَّى وجدَه وقد غسلَ وجْهَه ويديْه وقدميْه، فقالَ له:

- أحسنْت يا شاكر.. هاقد توضَّأتَ مثْلى.

أجَاب «شاكر»:

- أجل.. كنتُ أفعلُ مثلمَا تفعَل تماما.. وأردد وراءكَ بصوتٍ خافتٍ كُلَّ ما كنتَ تقُوله. ولكنْ قلْ لِى هلْ جميعُ المسلمين يرددُونَ تلكَ الأدعية أثناءَ الوضُوء؟

قَال «حامد»:

- ليستْ بالتحْديدِ الأدعية ذاتها، فهى قدْ تختلفُ منْ إنسانٍ لآخرَ، لكنهَا جميعاً بمعْنىً متشَابه، وليسَ من

المهم أن يقولَها المسلمُ أثناءَ الوضوء، وإنْ لم يقلها، فالوضوءُ صَحِيح. هزَّ «شاكر» رأسَه، وأخذَ يجففُ وجْهه ويديْه، وفجأةً أطلقَ ضحكةً عاليةً، فسأله «حامد» مستغرباً:

- لماذا تضحكُ هكذا يا شاكر؟

أجاب «شاكر»:

- ألمْ تلاحظْ أنك توضأتَ مرتيْن؟!

ضحِك «حامد» أيضاً، وأجابَ:

- لا لمْ أنسَ إنما المرة الثانية كانتْ درساً توضيحياً وعملياً لتلميذٍ ذكى هو أنت.

اتجه «حامد» نحوَ غرفته بينما لحقَ به «شاكر» وهو يسأله:

- ولكنْ قلْ لى يا أخى كمْ منَ المراتِ يجبُ على المصلى أنْ يتوضأَ فى اليوم؟

أجاب «حامد» ببساطة:

- كُلَّمَا قَامَ إلى الصَّلاة.. ولكنكَ إذا احتفظْتَ بوضُوئكَ للصلاة الثانيةِ فلا حاجةَ بكَ لأنْ تعيدَ الوضُوء.

قَال «شاكر»:

- تقصدُ أننى أسْتطيعُ أنْ أصلىَ صلاَتَىْ الظهْر والعصْر مثلاً بوضُوءٍ وَاحِدٍ؟

فقَال «حامد»:

- أجلْ وأكثرَ حتى مَا لمْ يحصلْ مَا يفسدُ هذَا الوُضُوءَ.

سَأل «شاكر»:

- ومَا هى مفسِدَاتُ الوضُوء؟

أجَاب «حامد»:

- لوْ غَفَوْتَ مثلاً، أو خرجَ شىءٌ منكَ منْ أحَدِ السَّبِيلَيْن.

مشَّطَ «حامد» شعْره الأسودَ الكثيفَ ولبسَ ثيابًا أنيقةً ونظيفة، واستعدَّ للخُروج منَ المنزِل، ومَا أن اتجه نحوَ البابِ الخارجِى حتَّى وجدَ «شاكر» يقفُ بانتظاره، فقَال له:

- أراكَ مستعدًّا للذهَابِ معى إلى المسْجد..

ابتسمَ «شاكر» وفتحَ بابَ المنزِل وهو ينحَنى أمامَ أخِيه مدَاعبًا يدعُوه للخروجِ قبْله.

وفى الطريقِ كانَ «حامد» يرددُ بصوتٍ خَافتٍ:

- اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارِكْ علَى سيدِنَا محمدٍ.. اللهم ربَّ هذِه الدعْوةِ التَّامَّةِ والصَّلاةِ القَائِمةِ آتِ سيدَنَا محمدًا الوسيلةَ والفضِيلةَ والدرجةَ الرفيعَةَ، وابعثْه اللهم المقَام المحمُودَ الذِى وعدْته إنكَ لا تخلفُ الميعَاد.

ومَا أنْ وصلاَ إلى بَابِ المسْجِد حتَّى سَأله «شاكر»:

- كنتَ تصلِّى علَى النبىﷺ.. وترددُ دعاءً لا أعرفُه وأنا أنصتُ إليْك..

أجَاب «حامد»:

- أجَلْ.. أليسَ نبينَا محمد ﷺ هو الذى علمنَا كيفَ نتوضَّأ ونصَلى؟.. ثم إن مَنْ يرددُ ذلكَ الدعَاءَ كلَّمَا سمعَ صوتَ المؤذنِ شفعَ له الرسُولُ الكريمُ يومَ القيامَة.

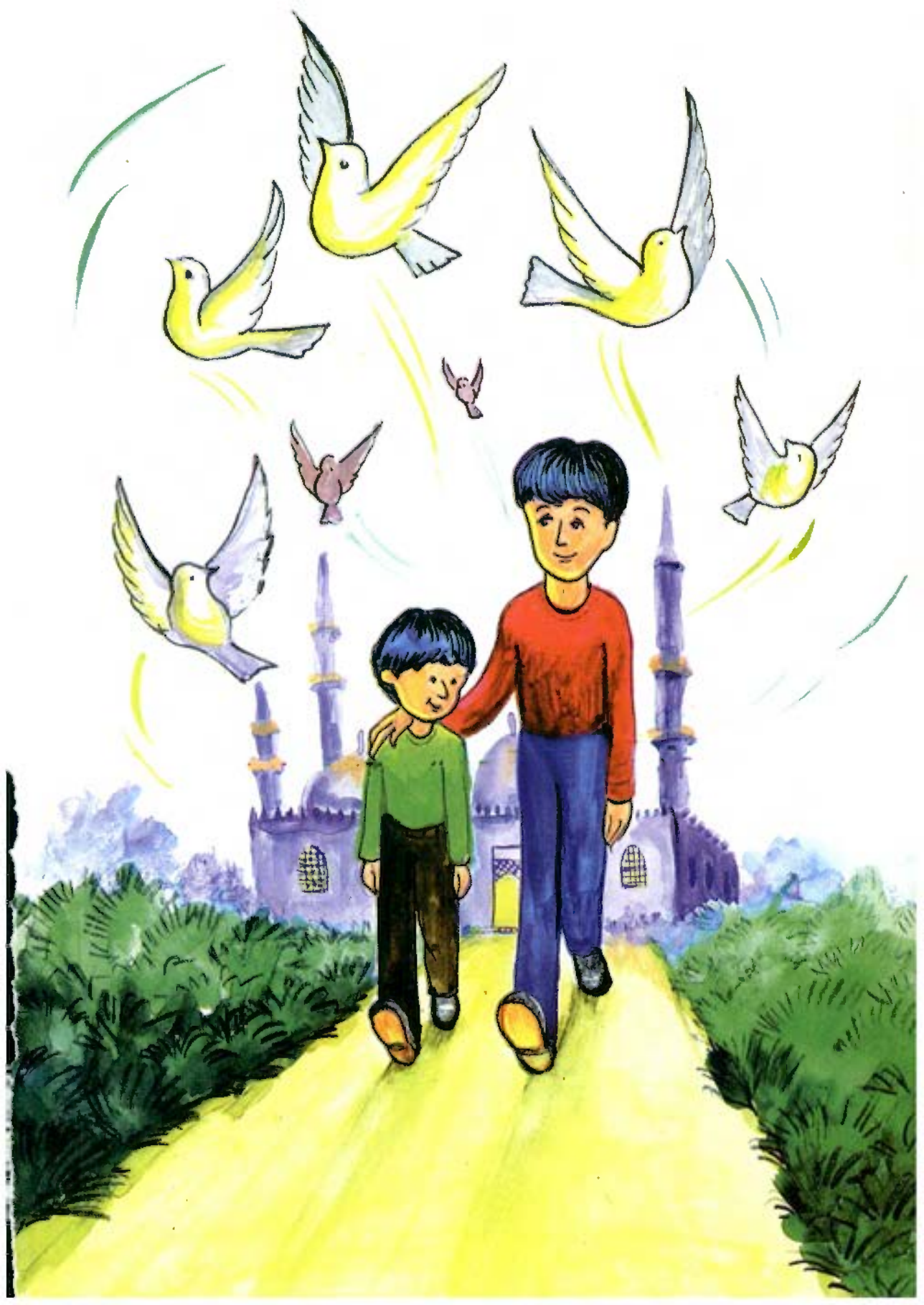

قال «شاكر»:

- ما أكرمكَ يا رسولَ الله.

ودخلَ كلٌ منْ «حامد» و «شاكر» إلى المسجدِ فوجدَاه مكتظًا بالمصلين وقد وقفَ الإمامُ مستعدًا لبدء الصلاةِ. بحث «حامد» بسرعةٍ عن مكانٍ لهما بينَ صفوفِ المصلين فوقف ومن خلفه «شاكر»، وما أنْ قال الإمام: الله أكبر.. حتى انتظمَت الصفوفُ وبدأت الصلاة.

«حامد» يتبعُ الإمامَ فى الركوعِ والسُّجود، ويقولُ: الله أكبر. و«شاكر» ينظرُ إلى أخيه ويفعل مثلَه. وما أن انتهَت الصلاةُ حتَّى سلمَ الجميعُ وقالوا: السَّلامُ عليكمْ ورحمة الله.

همسَ «شاكر» لأخيه مستفسرًا:

- هل انتهيْنا؟

هزَّ «حامد» رأسَه بالإيجابِ.

فعاد «شاكر» يسأل:

ولكننا لم نكنْ نقولُ شيئًا فى صلاتنا. وإنما كنا نفعلُ كما يفعلُ الإمامُ فقط.

قال حامد:

أجل.. هذه هى صلاةُ الجماعة.

وعندمَا خرجَا مِنَ المسْجد كان «حامد» يخبرُ «شاكر» بأنهُ مِنَ الآن فصاعدًا سوف يصَلى فى المسْجد كلمَا سمحَت له الظروفُ وليسَ يوم الجمعَة فقط.

* * *

وبعدَ أيامٍ استيقظَ «حامد» مبكرًا.. أنصتَ إلى هَدِيلِ الحمَائم وكأنهَا تقول: اشكُروا ربكُم.. اشكروا ربكم.. فارتجفَ قلبُه وتذكرَ أنَّ المصلِّينَ فى المسْجد يكررونَ دائمًا عبارَةَ (الحمد لله).. ويبدؤونَ الصلاة بهَا. وقفَ حائرًا يقولُ فى نفسه:

- مادامتِ الشمسُ لمْ تطلعْ بعْد، فأنا أستطيعُ الذهابَ إلى المسْجد لأصلى.. هذه أولُ مرةٍ أذهبُ فيهَا وحدِى.. وبما أننى لنْ أقفَ خلْفَ الإمام الذِى يقرأ وأنا أركعُ وأسجدُ، فسوفَ أحاولُ أنْ أعتمدَ على نفسِى وأصلى صلاتى كاملة.

وأسرع فتوضأَ ولبسَ ثيابَه، وقبلَ أنْ يخرجَ من المنزلِ، تفقدَ أخَاه «شاكر» فوجدَه يغطُّ فى نوم عَمِيق. نظرَ إليه بمحبَّةٍ وعطْف وقَالَ فى نفسه: كمْ أحبكَ ياشاكر.. وكمْ أتمنَّى لو نذهبَ معًا إلى المسْجد لنؤدِّى

صلاتنا معاً. وما لبثَ أن اقتربَ منْ «شاكر».. أوشكَ أنْ يوقظَه ليذهبا سوياً ولكنهُ تَرَاجع، وقال: سأذهبُ الآن وحْدى.. واطمئن فإننى أعرف كيف أصلّى، وغدًا نستيقظُ معَ الفجرِ ونذهبُ معاً.

خرج «حامد» ومشَى بخُطًى بطيئةً نحوَ المسْجد وهو يتهيأ للصلاة، قال فى نفسه:

- سأبدأ برفعِ يَدىَّ نحوَ أذُنى وأقول: الله أكبر، ثم أضعهما على صدْرى اليد اليمنَى على اليسرى، وأقرأ الفاتحة.. لا.. سأبدأ بقولى: «سبحانك اللهمَّ وبحمْدك وتبارك اسمكَ وتعَالى جدُّك ولا إله غيرك»، ثم اقرأ الفاتحة.. وعندما أركعُ سأقول: «سبحان ربى العَظيم» - ثلاثَ مرات، وانهَض وأقول: سمعَ الله لمنْ حَمِده.. الله أكبر.. ثم أسجد.. سجدتين.. وفى كل سجْدة أقول: «سبحان ربى الأعلى» ثلاثَ مرات.. ثم أعود واقفًا وبالطريقةِ نفسِها لأقرأ إحْدى السُّور التى تعلمتها فى المدرسة.. وأعاودُ الركوعَ والسُّجود حتى أتم ركْعتيْن ثم أقرأ التحيّات إلى نهايتها.. ثم التفتُ يميناً وشمالاً فأسلم على الملكين حول كتفى.. وأقول السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته..

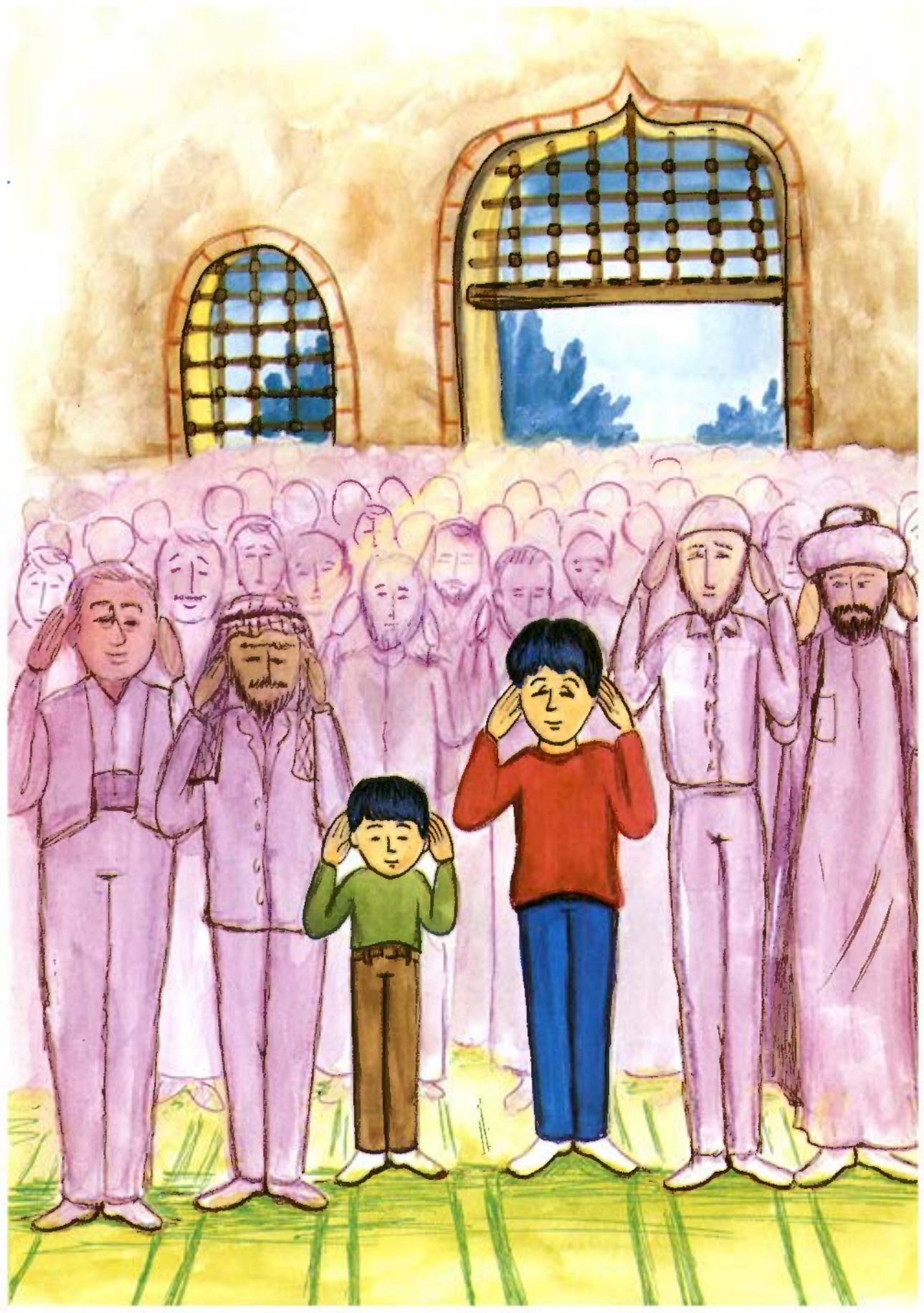

أسرع «حامد» خطواته وهو يكادُ يقفزُ من الفَرح.. دخلَ المسجدَ واتجهَ إلى حيثُ اعتادَ أنْ يرى الإمامَ واقفاً. كان هناك عددٌ قليلٌ منَ المصلّين فأغلبهُمْ قدْ صلّوا معَ الإمامِ قبلَ قليلٍ وانصرفوا.

صلّى ركعتيْن تحيةً للمسْجد، ثُم صلّى ركْعَتى السنّة وقدْ وجدَ نفسَه قادراً على آداءِ الصلاةِ وحْده.. شَعَرَ أنَّ قلبهُ يخفقُ مِنْ شدّة الفرح.. وما أنْ همَّ بأنْ يصلّى ركعتيْن فريضة الفجر حتى لمحَ «شاكر» يقفُ إلى جَانبه وهو يرفعُ يديْه نحوَ أذنيه ويقول: الله أكبر.. ويبدأ الصّلاة. تفاجَأ «حامد».. «فشاكر» الصغيرُ لم يتعلّمْ الصلاةَ كاملةً بعْد، ثم إنه كانَ فى سَريره يغُط فى نومٍ عميقٍ فمَا الذى أتى به بهذه السُّرعة؟!

لم يطلْ «حامد» التفكيرَ فى الأمر ورفعَ يديْه مكبّرا للصّلاة، وما أنْ بدأ الفاتحة ومن بعدهَا إحْدى السور القصَار حتى سمعَ «شاكر» يرددُ وراءه وكأنه اعتادَ أنْ يفعلَ ذلك، ولما وصل فى صلاتِه إلى التحيّاتِ أخذَ يرددهَا بصوتٍ عالٍ وهو ينتبهُ إلى كل كلمةٍ فيهَا ويقول: «التحياتُ لله. الصلَوات الطيبات، السلام عليك أيُّهَا النبى ورحمة الله وبركاته، السلامِ علينَا وعلَى عباد الله الصّالحين، أشهدُ أن لاَ إله إلا الله، وأشهدُ أنَّ

محمدًا عبده ورسُوله. اللهم صلِّ على سيدِنا محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العَالمين إنك حميدٌ مجِيد».

وهكذا صَلَّى «حامد» وعيُون المصلِّين فى المسْجد تنظرُ إليه بإعجَاب.. ولما فرغَ منْ صلاته تقدمَ إليه رجلٌ منْ أهْلِ الحى يعرفُ والدَه، وقال:

- بَارك الله فيكَ يا حامد.. أنتَ ولدٌ يفخرُ بأمثالِكَ الآباء.. قلْ لى هلْ ستأتى إلى المسْجد دائماً للصَّلاة؟

قالَ «حامد»:

- إنْ شاءَ الله يَا عمى.. إنْ شَاء الله.. وهذَا أخِى الأصغرَ سيكُون معى.

- لمْ يكد الرجلُ ينصرفُ حتَّى التفتَ «حامد» إلى «شاكر» وبادر:

- لمْ أتوقعْ مجيئكَ إلى هنَا يا شاكر.

ضَحِك «شاكر» وقال:

- مفاجَأة أليسَ كذَلك؟

سأَله «حامد»:

- ومتَى تعلمتَ الصَّلاة؟

أجَاب «شاكر»:

- منذُ مدةٍ.. كنتُ أنصت إلى والدِنَا وهو يشْرح لك.. ويقُول أيضاً «شاكر» ما يزالُ صغيرًا وعندمَا يحينُ الوقتُ سيتعلمُ مثلك.

صمَتَ «حامد» واتجه نحو بَابِ المسْجدِ.. لبِسَ حذَاءه وخرجَ وتبعَه أخُوه وهو يقُول:

- هلْ تعلمْ يا أخى أننى أحاولُ أنْ أكونَ مثلك فأنا أحبكَ ومعجبٌ بِك.

نَظَر إليه «حامد» بحنانٍ ومسَحَ فوقَ رأسِه وقال:

- هكَذَا إذن..

ضَحِك «شاكر» وقال:

- وكنتُ أتبعُك كما لو أننى اتبعُ الإمامَ فى صلَاتى. ولكنْ قلْ لى لماذَا صلينَا ركْعتيْن فقط؟

أجَابَ «حامد»:

- ذلك لأننَا نصلِّى صلاةَ الفجْر، وهى ركعتَانِ للفريضَةِ تسبقهمَا ركعتَا السُّنَّة. أما أنت فقدْ وصلتَ إلى المسْجد بعدْ أنْ صليتُ أنا السنة.

سأل «شاكر»:

- والظهرْ؟

أجَاب «حامد»:

- الظهرُ أربعُ ركعاتٍ للفريضةِ ومثلُهَا للسنَّة.

- وكذلك صلاةُ العصْر، أربَعُ رَكعَاتٍ، ومِثلُها للسنَّة، وتُؤدَّى قبل الفريضة.

قَالَ «شاكر»:

- أظنُّ أنَّ صلاةَ المغْرب تختلفُ.

أجَاب «حامد»:

- أجَلْ فهى ثلاثُ ركعاتٍ للفريضةِ، واثنتانِ للسنَّة.. ولكنِ انتبه فى المغْرب فقط يُؤدَّى الفرضُ قبلَ السنة، أما صلاةُ العشاء فهى أربعُ للفريضةِ، واثنتانِ للسُّنة وثلاثٌ للوتْر.

سَار «شاكر» وهو يرددُ عَدَدَ ركعاتِ الصلاةِ ويحركُ أصابعَه، وعندمَا وصلا إلى المنزل، وقدْ أشرقتِ الشمْسُ، وقفَ «شاكر» وقال:

- شكرًا لكَ يا «حامد». . . هيَّا لنُفَاجِئَ والدَنَا.

قَال«حامد»:

- هلْ نسيتَ أنه يخرجُ منَ المنزلِ معَ الفجْرْ؟

أجاب «شاكر»:

- آه. . صحيحٌ فهُوَ فِى أغلبِ الأحيانِ يصلّى فى ذاكَ المسجدِ القريبِ منْ عملِه.. سنحدّثُه عندمَا يعودُ فى المساءِ.

قَال «حامد»:

- وسيرضَى عنَّا لأننا دعونَا لهُ بالرحْمةِ والمغْفرةِ كما يفعلُ هو إذْ يدعُو لوالديْه فى ختامِ الصلَاة.

وضعَ «حامد» يدَه فى جيْبِه ليخرجَ مفتاحَ المنزلِ وكذلك فعل «شاكر». قال «حامد»:

- المفتاحُ معى فعَنْ أىِّ شىءٍ تبحَث؟

أجَاب «شاكر»:

- أظنُّ أننى عثرتُ علَى شىءٍ فى جَيْبى.

بحث «حامد» فى جيْبِه عنِ المفتاحِ فعثرَ علَى شىءٍ آخرَ، قَال:

- لا أجدُ المفتاحَ ولكنى وجدتُ شيئًا آخرَ!!

أخرج كلٌ منْ «شاكر» و «حامد» يدَه منْ جيْبِه فى اللحْظةِ نفسِهَا، فإذَا بهمَا يفاجئَانِ بورقةٍ نقْديةٍ، فضحِكَا معًا، وإذا ببابِ المنزلِ يُفْتح وتستقبلهمَا الأمُّ مبتسمةً، وتسْأل:

- كنتما فى المسجدِ أليسَ كذلك؟

أجابا معًا وهما يضحكان:

- وأنتِ التى وضعْتِ النقودَ فى جيُوبنا أليسَ كذلك؟

أما المفاجأةُ الكبيرة فقدْ كانتْ تلكَ الرحلةُ التى هيأهَا والدهمَا إلى الصحْراءِ لزيارةِ أحدِ أصدقائه منَ البدْوِ الذينَ يعيشُون علَى الماشيةِ والرعْىِ، ويضربونَ خياماً هنَا وهنَاك فى البادِيَة رغمَ أنهم يملكون منزلا فى أقربِ نقطةٍ منَ المدِينة.

فرِحَ الولدَانِ «حامد» و «شاكر» إلى أبعدَ حَد، واعتبرَا الرحلة مغَامرة، وهيئَا نفسيْهمَا لهَا بكل مَا يلزِم، لكنهمَا لم يفطنَا إلى مطريَّات(*) الماءِ باعتبار أنهمَا سيكونانِ ضيوفًا لا أكثر. وبمَا أنَّ الرحلة ستستغرقُ يومًا كاملا، ومسافةُ الطريقِ ستتجاوزُ وقتَ الظهْر، فقد ناداهمَا الأبُ إلى غرفةِ الجلُوس، وبعدَ أن تأكدَ أنهمَا قدْ توضئَا قال «لحامد»:

- سنصلِّى صلاةَ (القصْر) قبلَ أنْ نُسَافر، وعندمَا نعودُ نصلِّى صلاةَ (الجمْع).

سأل «حامد» مستفسِرًا:

(*) مطرية ماء: زمزمية.

- وما هو القصرُ والجمعُ يا أبى؟ لا أعرفُ أنَّ هناكَ صلاةً بهذه الأسماء.

ضحك الأب وقال:

- ذلكَ لأنكَ لم تسافرْ إلى أمكنةٍ بعيدةٍ تضطرُّ فيها إلى تعويضِ أوقاتِ الصلاة بعدَ أنْ يفوتَ الوقت.

اسمعْ يا «حامد» وسأشرحُ لك.. نحنُ الآنَ سنسافر ونعرفُ المدَّةَ التى يستغرقها السفرُ مُسْبقًا، وعلى نيةِ هذا السفر نقفُ فى الصلاة لنؤديها سلفا، كأننا نؤدِّى ما علينا قبل حلولِ الوقت.

قال «حامد»:

- ولماذا سُمِّيتْ قصرًا؟

أجابَ الأب:

- ذلكَ لأننا نقتصرُ فيها على نصفِ عددِ الركعات فى صلاةِ الظهرْ والعصرِ والعشاء، أمَّا صلاةُ الصبحِ فبما أنها ركعتانِ فتظلُّ على حالها، وكذلكَ صلاةُ المغربِ لا تُحذفُ منها ركعةٌ وتظلُّ ثلاثَ ركعات.

نادى «حامد» أخاه وقال له:

- تعال لنصلى أنت وأنا وراءَ والدنا صلاةَ (القصرْ)، وسأشرحُ لك مغزاها وفائدتها فيما بعدْ.

ولا تنسَ أنْ تنوِى أنهَا صلاةُ القصرْ لفرضِ الظهرْ.

وعندمَا انتهى الثلاثة مَن الصلاةِ قال «شاكر»:

- وماذَا سنفعل بصلاةِ العصرْ والمغْربِ والعشَاء؟

أجاب «حامد»:

- سنصليهَا جمعًا عندمَا نعودُ بإذنِ الله مساء.

قال «شاكر»:

- إذَنْ هناك صلاتان:

القصرْ والجمْع.

وأسرعَ لتهيئةِ حاجياته وهو يرددُ: القصرْ والجمْع.. الجمْع والقصرْ.

عندمَا وصلَ أبو حامد مع ولديْه وأحد أصدقائه منْ التجارِ، كانَ الرجل صديقهُم الذى يقصدُونه فى الصحراءِ قدْ سبقهمِ إلى الخيمَةِ المنعزلة، واستغرق اللحَاق بهِ وقتًا طويلا مالتْ فيه الشمْسُ إلى الغروبِ وأوشكتْ صلاةُ العصرِ أنْ تفوتَ علَى المصلين. وبينمَا هُم يهبطون منَ السيارةِ علَى الطريقِ ليصلوا إلى الخيمة، لمحَ «حامد» أحدَهم يضربُ بكفيهِ على الرمالِ ثم يمسحُ وجههُ وذراعيْه وقدميْه فى حركاتٍ تشبهُ الوضُوءَ، فلفتَ نظرَ والده متحمسًا، وقال بلهْفة:

- انظرْ يا أبى إلى هذَا الرجلِ كأنمَا هو يتوضأُ منَ التراب!!

ضحك الأب وقال:

- بلْ إنه يتيممُ استعداداً للصلاة.

اندهشَ «حامد» وقال:

- وما التيممُّ؟

ثم عاد فشهقَ قائلاً:

- آه.. لقدْ تذكَّرْت.. قرأتُ عنه فى ذلكَ الكتابِ عنِ (الوضُوءِ والصَّلاة).. إنهُ بديلُ الوضُوء. ثم وضعَ سبَّابته فوقَ رأسِه كأنما يستذْكر، وعانقَ أخاه وسبقَ والدهما وصديقه إلى الخيمة كأنما أرادَ أنْ يلحقَا الرجل الذى كانَ يصلى قبل أنْ ينشغل بالضُّيُوف. وهذا ما حصلَ فما أنْ فرغَ الرجل منَ الصلاةِ حتى رحَّب بهما، فقال له «حامد»:

- تقبلَ اللهُ صلاتكَ يا عمَّاه.. هل كانتْ قصراً أم جمعاً؟

أجابَ الرجلُ بابتسامة:

- لا.. إنهما صلاةُ العصْر الحاضرة.. مادامت استوفتْ شروطهَا بالتوقيتِ والتيمم والشمْسُ لم تغربْ بعْد.. فأنا فى موقعى ولستُ على سفرٍ مثلكم.

قال «شاكر»:

- وكيفَ تعرفُ اتجاهَ القبلةِ يا عمَّاه فى هذِه الصحراءِ مادامَ لا يوجدُ هنا مسْجد.

يجيبُ الرجُل:

- الكونُ كلُّه مسجدٌ كبيرٌ يا أولادِى ويمكننا أنْ نصلّى فى أىِّ مكانٍ مادامت البقعةُ التى نصلّى فوقها طاهرَةً ومادمنا متوجِّهين لله، أما القبلةُ فكلٌّ منا يعرفُ قبلتَه ووجْهتَه إلى المسْجدِ الحرام، فإذَا تعذَّر الأمرُ تستطيعُ أنْ تستعينَ ببوصلةٍ أو بتحْديدِ اتجاهاتِ القبلةِ منْ خلالِ المشْرق والمغربِ والشمالِ والجنُوب.

وما أن انتهَوا منْ هذَا الحديث حتَّى وضعَ الرجلُ كلَّ يدٍ منْ يديْه فوقَ كتفِ أحدِ الولديْن وعادُوا جميعًا إلى الخيمةِ بألوانِهَا الزاهيةِ التَّى كانتْ معدَّةً لاستقبالِ الضيُوف، وقالَ الرجلُ وهو يضحَك:

- منْ شدَّةِ فرحتنا بمجيئكُم نسينَا أن نأْتى معنَا بمطرياتِ الماءِ فاضطررْتُ للتيمُّم.

وصَاح «حامد»:

- ونحنُ أيضًا لمْ نأتِ بمطريَّاتنا.

قالَ الرجل:

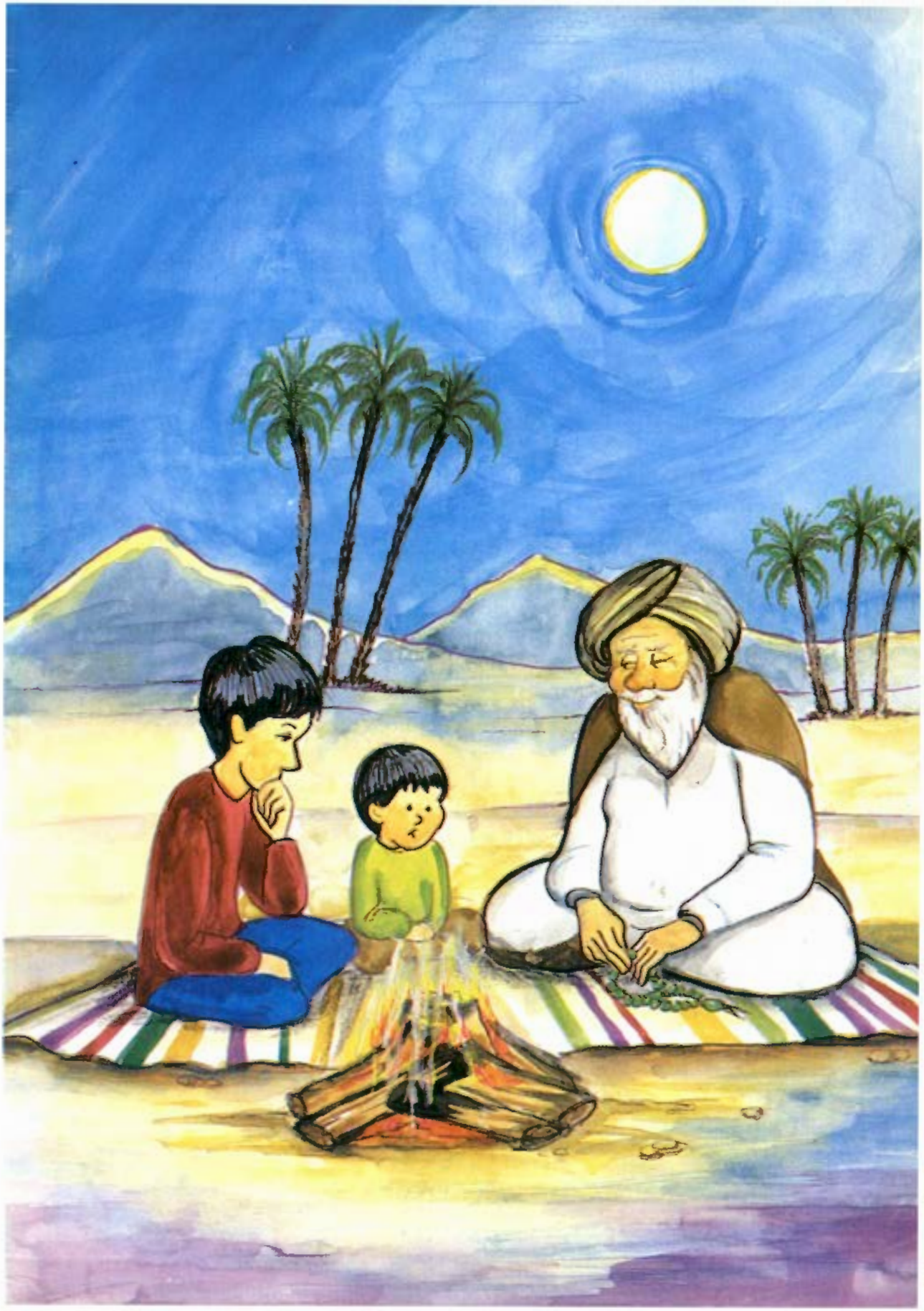

- نستعيضُ عنِ الماءِ باللبنِ الطازجِ وبشرابٍ منعش.

* * *

وهكذا استمرتْ جلسةٌ هادئةٌ فى فترةِ الغروبِ، كانَ الرجالُ يتبادلونَ فيها أحاديثَ شتَّى و «حامد» و «شاكر» يُصغيانِ بانتباه إلى كلِ ما يقالُ حتى انضمَّ إليهم شيخٌ جليلٌ أبيضَ الشعرِ واللحيةِ كانَ يتمتمُ بأدعيةٍ متنوعةٍ فيهما ابتهالٌ إلى الله.

لاحظَ «شاكر» أنَ الشيخَ يعدُّ حباتٍ فى سبحةٍ بينَ يديه فهمسَ لأخيه:

- اسأله ماذا يدعو أثناءَ التسبيح؟

فنظرَ إليه «حامد» وقال:

أظنُ أنَ كلاً منا يعرفُ أن يقولَ (سبحانَ اللَّه والحمدُ للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر).

وكانت سهرةً فى هدوءِ الصحراءِ وسكينتها، وضياءُ القمرِ يجللُ المكانَ فيعطيهِ هيبةً ورهبةً بينما الشيخُ الجليلُ يفسرُ بعضَ سورٍ منَ القرآنِ الكريمَ حولَ آياتِ اللهِ فى الكونِ وأبرزها: اختلافُ الليلِ والنهارِ، والشمسُ

والقمرُ، والموتُ والحياةُ، والجميعُ ينصتُ بخشوعٍ واهتمامٍ حتى مضَى قسمٌ كبيرٌ منَ الليل. وما أنْ عادَ الولدانِ إلى المنزلِ حتى كانَ التعبُ قدْ أخذَ منهما، فشعرَا بميلٍ إلى النومِ والراحَة، وكأنَّ سكينةَ النفسِ تطلبُ سكينةَ الجسَد، فقال «حامد» بصوْت ضعيفٍ وهو يتجهُ إلى غرفتِه:

- ألاَ استطيعُ يا أبى أنْ أؤجِّلَ صلاةَ المغربِ والعشاءِ جمْعاً ليومٍ غدٍ؟

ردَّ الأبُ مُلاطفاً:

- لا يا بنَى اذهبْ، وتوضأْ وستَنتعش،إذْ لابدَّ أنْ تُصلىَ قبل أنْ ينقضىَ الليلُ وإلاَّ فاتتك الصَّلاة، وقد سبقَ أنْ قلتُ لكَ إنها تُصلىَ جمعاً لعذرٍ، وحينئذٍ تكونِ ركْعتَانِ للعشَاء، وثلاثٌ للمغربِ، لأنَّ الصلاةَ المفروضةَ على المسلْمِ مُرتبطةٌ بدوْرةِ الليلِ والنهار، وقد جَاء فى القرآنِ الكريم:

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾

(سورة النساء: ١٠٣).

* * *